الإيجاز في البلاغة العربية وارتباطه بمسائلها

صديق مصطفي الريح*

مدخل :

الإيجاز من صميم طبيعة اللغة العربية ، فهي قد تعبر عن المعاني الكثيرة بالعبارة القصيرة ، يقول الزيات : (الأسلوب العربي الأصيل موسومٌ بالإيجاز من أصل النشأة لأنه أسلوب أمةٍ صافية الذهن دقيقة الحس ، سريعة الفهم ، فهو في بلاغة العرب أصلٌ وروحٌ وطبعٌ، وأول الفروق بين اللغات السامية والآرية، أن الأولى إجمالية والأخرى تفصيلية ، ويظهر ذلك في مثل قولك " قُتل الإنسان "! فإن الفعل في هذه الجملة يدل بصيغته الملفوظة، وقرينته الملحوظة على المعنى والزمن والدعاء والتعجب وحذف الفاعل، وهي معانٍ لا يستطيع أن يعبر عنها في لغةٍ أوربيةٍ إلا بأربع كلمات أو خمس) (١).

ويرى كثيرٌ من الباحثين أن غلبة الأمية في الجاهلية، وشيوع عدم التدوين كانت من الأمور التي استلزمت الاعتماد على الذاكرة، فكانت من أهم دواعي الإيجاز باعتبار أن الكلام الموجز أيسر حفظاً وأقرب تذكراً من غيره، خاصةً إذا ما أضيف إليه عنصر الموسيقى (٢). وأتى الإسلام فامتدح الإيجاز ودعا إليه، فقد كان ﷺ يكره أن يجاوز الكلام مقدار القصد به، فقد تكلم رجل عنده فأطال، فقال له: (كم دون لسانك من حجاب ؟ فقال: شفتاي وأسناني، فقال له: إن الله يكره

---

*أستاذ مشارك بكلية الأداب بجامعة الخرطوم

الانبعاق (٣) في الكلام ، فنضر الله وجه رجل أوجز في كلامه، واقتصر على حاجته) (٤).

وإذا انتقلنا إلى أدب صدر الإسلام ، نجد أن التدوين لم يختلف كثيراً عمّا كان عليه في العصر الجاهلي يستثنى من ذلك تدوين القرآن الكريم ، وهو التدوين الذي حفظه من التحريف . أما الحديث الشريف فقد تأخر تدوينه ، وكان هذا التأخر سبباً من أسباب نشوء علم الحديث. مما يعني أن النثر في صدر الإسلام استمر في الاعتماد على الذاكرة وما يتصل بها من إيجاز .ومما دعا إلى الإيجاز بعد الجاهلية اتساع الدولة الإسلامية ، والحاجة إلى سرعة البت في الأمور ، كما أن تدوين الرسائل كان يتطلب قراطيس يشق الحصول عليها ولعل هذا ما كان يجعل المشهورين من الكتاب أمثال جعفر بن يحيى ، وسهل بن هارون يتوخون جانب القصد ، ويؤثرون طريق الإيجاز ، حتى قال جعفر للكتاب : (إن استطعتم أن تجعلوا كتبكم كلها توقيعاتٍ ، فافعلوا) (٥)، وهي توقيعاتٌ تجري مجرى الأمثال في الجمع بين الإيجاز والجمال والقوة ، مثل ما وقع جعفر في كتاب رجل شكا إليه بعض عماله : (قد كثر شاكوك ، وقل شاكروك ، فأما اعتدلت ، وإما اعتزلت) (٦).

وقد عرف الإيجاز بهذا المعنى من قديم ، والمتتبع لما كتبه العلماء عن الإيجاز يجد العبارات الكثيرة ، التي تنوه به ، وتثني على من رزق حظاً وافراً منه كما سيأتي ولذا كان موضوع الإيجاز من أسبق موضوعات علم المعاني ، التي وقف عندها الكتاب القدامى كالجاحظ، و ابن قتيبة ، وأبي هلال العسكري ، وقدامة بن جعفر ، وابن سنان الخفاجي ، وابن الأثير الذي أفاض فيه ، وذكر له شواهد كثيرة من القرآن وغيره في كتابه " المثل السائر " . واستمر البحث فيه إلى عصر السكاكي والقزويني ومن جاء بعدهما .الإيجاز لغة : قال ابن منظور في مادة وجز : (وجز الكلام وجازة ووجزاً وأوجز: قل في بلاغة ،

وأوجزه : اختصره ... وكلام وجز : خفيف... وأوجزتُ الكلام : قصرتُه. وفي حديث جرير : قال له ، عليه السلام : إذا قلتَ فأوجز أي أسرع واقتصر)(٧).

في الاصطلاح : ذكر العلماء عدة تعريفات للإيجاز منها ما أورده الجاحظ من سؤال معاوية لصحار العبدي قائلا : (ما تعدُّون البلاغةَ فيكم ؟ قال : الإيجاز ، قال له معاوية : وما الإيجاز ؟ قال صحار : أن تُجيب فلا تبطئ ، وتقول فلا تخطئ) (٨) . وكذلك ما أورده من سؤال ابن الأعرابي للمفضّل : (ما الإيجاز عندك ؟ قال : حذف الفضول وتقريب البعيد) (٩).ونقل ابن سنان أن المأمون سمع الرشيد يقول : (البلاغة التباعد عن الإطالة والتقرب من معنى البغية ، والدلالة بالقليل من اللّفظ على المعنى) (١٠) وقال ابن الأثير : (وأما الإيجاز فقد عرفتك أنه دلالة اللفظ على المعنى من غير أن يزيد عليه) (١١). وقال ابن أبي الأصبع : (وأما الإيجاز فهو دلالة الألفاظ القليلة الحقيقية على المعاني الكثيرة من غير إشارة ولا إرداف ولا حذف) (١٢).

وإذا تتبعنا " الإيجاز " عند غير هؤلاء الأدباء والبلغاء ممن جاء بعدهم من أمثال السكاكي والقزويني وغيرهما فإننا نجد أن مفهومه ـ وإن اختلفت صيغ التعبير عنه ـ واحد هو اندراج المعاني الكثيرة تحت اللفظ القليل ، مع الإبانة والإفصاح ليسهل حفظها ومن ثم تذكرها عند الحاجة إليها .

أقسام الإيجاز :

العلماء يفردون الإيجاز بباب خاص في علم المعاني ، ويقسمونه إلى قسمين إيجاز الحذف وإيجاز القصر ، وفيما يلي بعض أمثلته دون تطويل لأن ذلك مبسوط في كتب القدامى والمحدثين(١٣) .

إيجاز الحذف :

وهذا النوع من الإيجاز ما تكون قلة ألفاظه بحذف ، والمحذوف إما جزء

من جملة أو جملة أو أكثر من جملة بشرط أن يكون في الكلام ما يدل على **المحذوف** (١٤) . ودلالة الحذف على الإيجاز من أعلى درجات البلاغة يقول **عنه عبد القاهر** : (هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، **شبيه بالسحر** ، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن) (١٥). ومن أمثلة هذا النوع :

(أ) **حذف المفرد** : ومنه حذف المفعول في قول البحتري :

كم ذدت عني من تحامل حادث *** وسورة أيام حززن إلى العظم

والتقدير : " حززن اللحم إلى العظم " ، ويرى عبد القاهر الجرجاني أن حذف كلمة اللحم تدفع ما يمكن أن يقع في وهم السامع من أن هذا الحز كان في بعض اللحم دون كله وتجعله(يتصور في نفسه من أول الأمر أن الحز مضى في اللحم حتى لم يرده إلا العظم) (١٦). ومنه حذف جواب الشرط ... للدلالة على أنه شيء لا يحيط به الوصف أو لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن فلا يتصور مطلوباً أو مكروهاً إلا يجوز أن يكون الأمر أعظم منه (١٧)، ... كما في قوله : ﴿ وَلَوْ تَرَىَ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ ﴾ (الأنعام : آية ٢٧) والتقدير لرأيت كذا وكذا .

(ب) **حذف الجملة** (١٨): كحذف جملة السبب اكتفاء بالمسبب في قوله تعالى:(فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ ﴾ (البقرة آية ٦٠) أي فضربه بها فانفجرت والحذف هنا كما ذكر أبو السعود للدلالة على كمال سرعة تحقق الانفجار كأنه حصل عقيب الأمر بالضرب (١٩) ، أي دون فاصل .وعكس ما سبق حذف المسبب وذكر السبب، كما في قول أبي الطيب :

أتى الزمان بنوه في شبيبته *** فسرهم وأتيناه على الهرم(٢٠)

أي فساءنا والحذف هنا يثري المعنى بإتاحته للسامع تخيل صنوف ما أصاب الشاعر من أذى الزمان .

(ج) **حذف عدة جمل** : وهو كثير في القرآن خاصة في أسلوبه القصصي ، وقوله ﴿ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ﴾ (يوسف ٤٥ ــ ٤٦) أي فأرسلوني إلى يوسف لا ستعبره الرؤيا فأرسلوه إليه فأتاه وقال له يا يوسف. وقوله : ﴿ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴾ (الفرقان آية ٣٦) أي فأتياهم فأبلغاهم الرسالة فكذبوهما فدمرناهم .وجمال الحذف في مثل هذه المواضع بسبب ما يحدثه من فجوات بغرض التركيز على الأفكار الأساسية في القصة ، وإثارة خيال القارئ لتصوُّر ما حدث في هذه الفجوات وترك الحرية له ليملأها .

إيجاز القصر :

هو تقليل اللفظ وتكثير المعنى بلا حذف ، ويتم ذلك بانتقاء الألفاظ ذات الدلالات الكثيرة وصوغ الجملة صياغةً خاصةً تؤدي قدراً كبيراً من المعنى مع وفائها بالمراد وهذا النوع من الإيجاز من البلاغة بمكان ، لأنه يدل على التمكن من الفصاحة وهو النوع الذي أكثرت العرب في مدحه ، ومن أمثلته :

قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ [البقرة آية ١٧٩] فإنه لا حذف فيه مع أن معناه كثيرٌ يزيد على لفظه لأن المراد به أن الإنسان إذا علم أنه متى قَتل قُتل كان ذلك داعياً له قوياً إلى أن لا يقدم على القتل ، فارتفع بالقتل الذي هو قصاصٌ كثيرٌ من قتل الناس لبعضهم البعض ، فكان في ارتفاع القتل حياةٌ لهم فالعبارة على قصرها وقلة ألفاظها تدل على معنى كثيرٍ ، وقد اشتغل البلاغيون بتحليل هذه العبارة القرآنية لاكتشاف عناصر إيجازها البديع المتقن ، وليكشفوا عن أسرار هذا الإبداع والإتقان بعبارةٍ أرادت بها العرب المعنى وكانوا يعتبرونها من أقصر الكلم وأوجزه وهو قولهم : " القتل أنفى

للقتل"(٢١)ومن أمثلة إيجاز القصر الآية : ﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ (الأعراف آية ٥٤) فهذه العبارة القصيرة قد أحاطت بجميع الأشياء والشئون على وجه الاستقصاء في كلمتين لم يخرج عنهما شيء(٢٢)، حتى لقد روي أن ابن عمر ﷺ قرأها فقال : (منْ بقي له شيء فليطلبه) (٢٣).

وعن سفيان بن عبد الله قال : (قلت يا رسول الله ! قل لي في الإسلام قولا لا اسأل عنه أحدا بعدك . قال : " قل آمنت بالله فاستقم ") (٢٤) . فانظر إلى هذه العبارة القصيرة وكيف أحاطت بكل جوانب الإسلام وكيف جمعت كل خير ! فالحديث قد جمع مبادئ الإسلام ، لأنه ما من خير إلا ويدخل في مفهوم هاتين الكلمتين ، الإيمان بالله ثم العمل بمقتضى ذلك الإيمان . فلا عجب إذن أن يكون هذا الحديث أحد الأحاديث الكلية التي جمعها النووي باعتبار أن مدار الإسلام عليها .

استحسانهم الإيجاز وأسبابه:

نقل العلماء أقوالاً كثيرةً تدل على استحسان العرب للإيجاز وميلهم إليه ، ومن ذلك ما ذكره أبو هلال العسكري : (...... وقال محمد الأمين : عليكم بالإيجاز فإنّ له إفهاما وللإطلالة استبهاما......... وقيل لبعضهم : لم لا تطيل الشّعر؟ فقال : حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق..... وقيل للفرزدق : ما صيّرك إلى القصائد القصار بعد الطوال ؟ فقال : لأني رأيتها في الصدور أوقع، وفي المحافل أجول .... وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ : ما رأيت بليغاً قط إلا وله في القول إيجاز وفي المعاني إطالة) (٢٥).

وقال ابن عبد ربه في فضل الإيجاز : (أشرف الكلام كله حسناً، وأرفعه قدراً وأعظمه من القلوب موقعاً ، وأقله على اللسان عملاً ، ما دل بعضه على كله وكفى قليلة عن كثيرة ، وشهد ظاهره على باطنه ، وذلك أن تقل حروفه ، وتكثر معانيه . ومنه قولهم : رب إشارة أبلغ من لفظ ...... ولم أجد أحداً من

الألف يذم الإيجاز ويقدح فيه ويعيبه ويطعن عليه) (٢٦).ويظهر استحسانهم الإيجاز في ربطهم ما بينه وبين البلاغة في كثيرٍ من أقوالهم، فمما نقله أبو هلال العسكري :(قيل لبعضهم : ما البلاغة ؟ فقال : الإيجاز. قيل : وما الإيجاز ؟ قال : حذف الفضول ، وتقريب البعيد . وسمع رسول الله ﷺ رجلاً يقول لرجل : كفاك الله ما أهمّك . فقال : هذه البلاغة. وسمع آخر يقول : عصمك الله من المكاره . فقال : هذه البلاغة . وقوله ﷺ : أوتيت جوامع الكلم)"(٢٧).ومما نقله ابن رشيق : (البلاغة إجاعة اللفظ ، وإشباع المعنى. وسئل آخر فقال : معانٍ كثيرةٍ ، في ألفاظٍ قليلة . وقيل لأحدهم ما البلاغة ؟ فقال: إصابة المعنى وحسن الإيجاز... وقال خلف الأحمر : البلاغة لمحةٌ دالةٌ . وقال الخليل بن أحمد : البلاغة كلمةٌ تكشف عن البقية) (٢٨).ويرى عبد القاهر أن الإيجاز أحد أعمدة البلاغة التي نوه بذكرها البلغاء ، وأنه من الأركان في أمر الإعجاز (٢٩). وابن سنان يجعل الإيجاز من أهم أركان البلاغة ومن أهم ما يشار إليه في بلاغة القرآن ، فيقول : (وهذا الباب من أشهر دلائل الفصاحة وبلاغة الكلام عند أكثر الناس ، حتى أنهم إنما يستحسنون من كتاب الله تعالى ما كان بهذه الصفة) (٣٠).

ذلك ما كان من استحسانهم الإيجاز وميلهم إليه ، فأما أسباب ذلك الاستحسان فيمكن حصرها فيما يلي :

١ / تناسبه مع طبيعة الذهن العربي :

كما رأينا فقد امتدح العرب الإيجاز ، ولعل هذا يرجع إلى أمية العرب ، وإلى أنهم أمة صافية الذهن ، سريعة الفهم ، فالعربي تكفيه الإشارة وتغنيه اللمحة ، وغير العربي يحتاج إلى الإطالة في القول ، وبهذا علل الجاحظ إيجاز القرآن الكريم عند خطاب العرب والأعراب ، والبسط والإطالة عند خطاب بني إسرائيل (٣١).

٢ / ميلهم للتخفيف :

ويظهر هذا من قول ابن عبد ربه : .(وتحب العرب التخفيف والحذف ولهربها من التثقيل والتطويل كان قصر الممدود أحب إليها من مد المقصور وتسكين المتحرك أخف عليها من تحريك الساكن ... ومن كلام العرب الاختصار والإطناب ، والاختصار عندهم أحمد في الجملة ، وإن كان للإطناب موضعٌ لا يصلح إلا له . وقد تومئ إلى الشيء فتستغني عن التفسير بالإيماء ، كما قالوا : لمحةٌ دالةٌ) (٣٢). كما يشير القاضي الجرجاني إلى (ميل العرب إلى الاختصار وإيثارها الإيجاز، وغلبة الحذف على كلامها ، وكثرته في خطابها) (٣٣). بينما يستدل ابن جني على ميلهم للإيجاز بما في فصيح كلامهم من كثرة الحذف ميلاً للخفة ورغبةً في الإيجاز ، وبأنهم لا يلجأون إلى الإطالة إلا اضطراراً وهم حينذاك يظهرون استثقالهم لها (٣٤).

٣ / ما فيه من التركيز والتهذيب :

ففي الإيجاز تركيز للأفكار وتهذيب للألفاظ ، يقول المرزوقي في آخر كتابه (كما أن الإيجاز تخليصٌ وتهذيبٌ) (٣٥)، وهو ما يشير إليه أحمد حسن الزيات مضيفاً إليه مسألة الإيحاء ودوره في زيادة معاني الألفاظ حيث يقول : (فالإيجاز غربلةٌ وتنقيةٌ ونخل وتصفية وتركيز ... والمزية الظاهرة للإيجاز على الإطناب ، أنه يزيد في دلالة الكلام من طريق الإيحاء ، ذلك لأنه ينزل على أطراف المعاني ظلالاً خفيفةً يشغل بها الذهن ويعمل فيها الخيال) (٣٦).

٤ / إيثارهم السهولة في التعبير :

يضاف إلى ذلك إيثارهم السهولة في التعبير ، وهو ما تشير إليه عبارة ابن سنان التي يوضح فيها سر استحسانهم الإيجاز ، يقول :(... اللفظ بمنزلة الطريق إلى المعاني التي هي مقصودة ، وإذا كان طريقان يوصل كل واحد منهما إلى المقصود على سواء في السهولة إلا أن أحدهما أخصر وأقرب من

الآخر، فلا بد أن يكون المحمود منهما هو أخصرهما وأقربهما سلوكا إلى المقصد ، فإن تقارب اللفظان في الإيجاز وكان أحدهما أشد إيضاحاً للمعنى ، كان بمنزلة تساوى الطريقين في القرب وزيادة أحدهما بالسهولة) (٣٧).

شروط حسن الإيجاز :

على الرغم من استحسانهم الإيجاز وإعلائهم من شأنه على نحو ما رأينا إلا أنه لا يكون حسناً عندهم إلا بشروط أهمها :

أولا : تحقق الوضوح في المعنى ، ويفهم هذا من اشتراط الجاحظ ألا يكون الإيجاز سبباً في استغلاق الكلام بما حذف منه أو اختصر (٤٨). ويفصل ابن سنان فيما أشار إليه الجاحظ بقوله بأن الإيجاز لا يحسن إلا بأن (يكون اللفظ القليل يدل على المعنى الكثير دلالةً واضحةً ظاهرةً ، لا أن تكون الألفاظ لفرط إيجازها قد ألبست المعنى وأغمضته حتى يحتاج في استنباطه إلى طرفٍ من التأمل ودقيق الفكر، فإن هذا عندي عيبٌ في الكلام ونقصٌ) (٤٩). ويسميه في موضع آخر الإيجاز المحمود (٤٠).

ليس الإيجاز إذن قلة اللفظ فحسب ، بل لا بد من الوفاء بالمعنى ، وقد فطن الجاحظ إلى هذه الجزئية ، إذ يقول : (ولو أن قائلا قال لبعضنا : ما الإيجاز ؟ لظننت أنه يقول : الاختصار . والإيجاز ليس يعنى به قلة عدد الحروف واللفظ وقد يكون الباب من الكلام من أتى عليه فيما يسع بطن طومار فقد أوجز)(٤١)

ثانيا : أن تكون الألفاظ على قلتها موحية بمعانٍ كثيرةٍ ، إذ ليس الغرض هو مجرد تقليل الألفاظ ، إنما مرادهم بتقليلها جعلها توحي بمعانٍ غير محدودةٍ عن طريق الإشارة بما ذكر إلى ما لم يذكر ، وجعل ذهن السامع يذهب في استقصاء ما يدخل في هذا الباب إلى أبعد مدى . ويشير عبد القاهر الجرجاني إلى ذلك بقوله : (أن المتكلم يتوصل بدلالة المعنى على المعنى إلى فوائد لو أنه أراد الدلالة عليها باللفظ لاحتاج إلى لفظٍ كثيرٍ) (٤٢).وقد أشار إلى هذا

الأمر قدامة في باب الإشارة فمما قال : (وهو أن يكون اللفظ القليـل مـشتملاً على معانٍ كثيرة بإيماءٍ إليها أو لمحةٍ تدل عليها ، كما قـال بعـضهم ، وقـد وصف البلاغة ، فقال: هي لمحة دالة) (٤٣)، واستدل على ذلك بقـول امـرئ القيس :

فإنْ تهلكْ شنوءةُ أو تُبَدَّلْ *** فسيري إن في غسانَ خَـالا

بعزهمُ عززتِ وإن يذلُّوا *** فذلُّهـمُ أنالـكِ مـا أنـالا

الذي يرى أن ألفاظه مع قصرها ، قد أشير بها إلى معانٍ طوال ، خاصة قوله : أنا لك ما أنا لا .

ثالثا : أن يصادف الإيجاز موقعه ، فلا يعني افتتان العرب بالإيجاز أنه محمود عندهم في كل موضع ، بل هناك مواضع لا يحسن فيها ، فلكـل مقـامٍ مقـال والبلاغة عند البلاغيين مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، وكما يقول ابن قتيبـة : (ولو كان الإيجاز محموداً في كل الأحوال لجرَّده الله تعالى في القرآن ، ولـم يفعل الله ذلك ولكنه أطال تارةً للتوكيد ، وحذف تارةً للإيجـاز، وكـرر تـارةً للإفهام)(٤٤).

ويستدل أبو هلال العسكري على مراعاة مقتضى الحال في القـرآن بـأن الله تعالى (إذا خاطب العربَ والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشـارة والـوحي ، .... وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم جعل الكلام مبسوطا وقل ما تجـد قصةً لبني إسرائيل في القرآن إلا مطولةً مشروحةً ومكـررةً فـي مواضـع معادة ، لبعد فهمهم كان وتأخر معرفتهم) (٤٥).فالإيجاز لا يحسن إلا إذا تطلبه المقام ، فيكون الإيجاز بلاغة ، وتركه تقصيراً وقد يتطلب المقام الإطنـاب ، فيكون أمراً لا مندوحة عنه . ومما يؤكد هذا قول أبي داود الإيادي الذي نقلـه الجاحظ :

يرْمُون بالخُطَب الطِّوالِ وتَارةً *** وَحْيَ المَلاَحِظ خيفةَ الرُّقَباءِ

وعلق عليه بقوله : (فمدح كما ترى الإطالة في موضعها والحذف في موضعه) (٤٦).

الأساليب البلاغية وغرض الإيجاز :

المتأمل يجد الإيجاز مراداً من كثيرٍ من الأساليب البلاغية مما يؤكد أنه مقصدٌ أصيل من مقاصد البلاغة العربية ، فهو غاية والأسلوب البلاغي المعين الوسيلة إلى تلك الغاية وكمثال يوضح ذلك فلننظر إلى البيت التالي الذي استعار فيه البحتري اسم اللؤلؤ لأسنان محبوبته وكلامها إذ قال :

فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها *** ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه (٤٧)

هل يا ترى أن الاستعارة هنا مقصد في ذاتها ؟ أم أن الشاعر توسل بها لأداء معناه بإيجاز ليوحي بصفاء أسنان محبوبته وحسن نظامها ، ثم ليوحي بحسن كلماتها وتناسق نظمها دون التصريح بالأسنان والكلمات ، اكتفاءً باستعارة اسم اللؤلؤ لهما لأن ذلك مما يستحسنه سامعوه ويوافق طبيعتهم ؟ وهكذا الأمر في عددٍ من الأساليب البلاغية التي نستعرضها في الصفحات التالية ـ على سبيل التمثيل لا الحصر ـ وفيها من القصد إلى الإيجاز ما يؤكد صحة ما ذهبنا إليه .

أولا ارتباط الإيجاز بمسائل علم البيان :

التشبيه :

يرى ابن الأثير أن التشبيه يجمع ثلاث صفات هي : المبالغة والبيان والإيجاز الذي يظهر في نحو قولنا : زيد أسد ، أو كالأسد ، فهو (يسد مسد قولنا : زيد من حاله كيت وكيت ، وهو من الشجاعة والشدة على كذا وكذا ، مما يطول ذكره) (٤٨). ثم إن التشبيه المضمر(٤٩)ـ كما سماه ـ أبلغ من التشبيه المظهر وأوجز. وهذا ما تؤكده عبارة ابن سنان : (وقد يكون التشبيه بحروفه كالكاف وكأن وما يجرى مجراهما وقد يكون بغير حرف على ظاهر المعنى ،

ويستحسن ذلك لما فيه من الإيجاز) (٥٠). كما وقف عند قول امرئ القيس :

فيا لك من ليل كأن نجومه *** بكل مغار الفتل شدت بيذبل

وأشار إلى الإيجاز عن طريق حذف الصفة استغناءً عنها بدلالة التشبيه إذ يقول: (فإن التقدير : فيا لك من ليل طويل ، فحذف الصفة ، لدلالة التشبيه عليها)(٥١).

ومن أمثلة إفادة الإيجاز عن طريق التشبيه المركب قوله تعالى : ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ﴾ (آل عمران آية ١١٧) وذكروا هنا أوجها على رأسها أن يكون التقدير : مثل الكفر في إهلاك ما ينفقون ، كمثل الريح المهلكة للحرث، ولذا قال الثعالبي : (وقع في الآية التشبيه بين شيئين وشيئين وترك من كل منهما ما دل عليه الكلام وهذه غاية الإيجاز والبلاغة) (٥٢).ومن أنواع الإيجاز القائم على التشبيه استفادة معنى ثان غير مذكور في النص من معنى مذكور ، وذلك كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ﴾ (النساء آية ١٦٣) ، يقول ابن عاشور : (أي ما جاء به من الوحي إن هو إلا مثل ما جاءت به الرسل السابقون فما إعراض قومه عنه إلا كإعراض الأمم السالفة عما جاءت به رسلهم . فحصل هذا المعنى الثاني بغاية الإيجاز مع حسن موقع الاستطراد) (٥٣).

المجاز المرسل :

المجاز بأقسامه يفيد الإيجاز ، وقد التفت إلى ذلك سيبويه ، الذي أورد بعض العبارات التي عدها من جاءوا بعده في المجاز المرسل مثل قوله تعالى : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ (يوسف آية ٨٢) أي أهلها . ومثل قولهم : (بنو فلان يطؤهم الطريق) يريدون أهل الطريق . وجعل سيبويه ذلك من استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لاتساعهم في الكلام ، والإيجاز والاختصار (٥٤).ويحكم

ابن أبي الأصبع بأن المجاز إيجاز، لأنه يقوم على حذف بعض الكــلام لدلالــة الباقي عليه ، أو للاستغناء بالقرينة ، ويستشهد بالآية السابقة (٥٥). ومما يؤكــد ما ذهب إليه أن المجاز يعبر بألفاظٍ قليلةٍ عن كثيرٍ من المعاني ، فمن ذلك حين يحذف السبب ويعبر عنه بالمسبب فإنه يختصر الكلام كما في قوله تعــالى: ﴿ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ﴾ (غافر آية ١٣) فهو أوجز من تفسيره بقولنـــا : وينزل لكم من السماء مطراً فينبت به النبات الذي يكون منه الرزق. فــالتعبير هنا فيه إطالةٌ بينما في استعمال المجاز هناك تركيز وإيجاز محبــب لا يــضيع معه المقصود لوجود القرينة .وممن أشار إلى مزية الإيجاز هذه ــ في المجــاز المرسل لعلاقة المسببية ــ الزمخشرى الذي وقف عند الآيات التي تعبــر عــن إرادة الفعل بالفعل نفسه كما في ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ ﴾ (المائدة آيــة ٦) ، ثم قال : (... عبر عن إرادة الفعل بالفعل وذلك لأن الفعل مسبب عــن القــدرة والإرادة فــأقيم المــسبب مقــام الــسبب للملابــسة بينهمـــا ولإيجــاز الكلام)(٥٦).والمجاز المرسل يعين على الإيجاز لأنه من قبيل الإغناء للألفاظ ، إذ يمنحها قدرةً على تجاوز معانيها الأصلية إلى معانٍ أخــرى تــستوحى مــن سياق الكلام . كما في هذا البيت الذي نقله المبرد :

أقبل في المستن من ربابه *** أسنمة الآبال في سحابه (٥٧)

يقول المبرد أن الراجز أراد (أن ذلك السحاب ينبت ما تأكله الإبــل فتــصير شحومها في أسنمتها) (٥٨). فإذن عبر الشاعر عن الغيث بأسنمة الآبال لأنهـــا مسببة عنه . وتسمية الغيث أسنمة يفهم منه أن الشاعر يرى السحاب من خلال ظروف حياته واحتياجاته فأتى بهذه الصورة الخيالية الرائعة التي تتــراءى لنــا فيها الأسنمة من خلال السحاب مما يؤكد في أنفسنا أن الغاية وكــل مــا يهــم الشاعر من أمر السحاب هو هذه الأسنمة . و دل علــى كــل ذلــك بإيجــاز الاستعمال المجازي لكلمة أسنمة .وفي قوله تعالى : ﴿ وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْــوَالَهُمْ ﴾

[النساء آية ٢]. فالمراد باليتامي هنا الراشدين ، فسماهم هكذا لعلاقة اعتبار ما كانوا عليه . وتسميتهم يتامى بعد زوال هذه الصفة عنهم فيه كما قال أبو السعود: (حث للأولياء على المسارعة إلى دفع أموالهم إليهم أول ما بلغوا قبل أن يزول عنهم اسمهم المعهود) (٥٩) والتعبير باليتامى فوق ذلك فيه ترقيق لقلوب الأولياء بتذكيرهم بحرمان هؤلاء اليتامى من عطف الأبوة ، وعجزهم عن حماية أموالهم ، وأنه لا يليق بالمؤمن أن يطمع فيمن هذا حاله . فانظر إلى روعة هذا الإيجاز الموحي بكل تلك المعاني باستعمال لفظةٍ واحدةٍ هي اليتامى على طريقة المجاز المرسل .

(ج) الاستعارة :

ففي الاستعارة إيجاز لأنها تُعطى المعاني الكثيرة بألفاظٍ قليلةٍ ، وفى ذلك يقول عبد القاهر : (ومن خصائصها التي تذكر بها وهى عنوان مناقبها أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدةً من الدرر وتجنى من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر) (٦٠).

والإيجاز فيه إشارةٌ وهى أبلغ من العبارة ، ولهذا كان التعبير بالاستعارة أبلغ في الدلالة على المعنى من الحقيقة ، لأن الاستعارة حين تختصر الكلام وتكتفي بالإيماء فإن ذلك مما يزيد في دلالة الكلام عن طريق الإيحاء ، فمن ذلك قوله تعالى في صفة جهنم : ﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴾ (الملك آية ٧) فحقيقة الشهيق الصوت الفظيع الذي يخرج من الجوف بشدة ، والتعبير بالشهيق أوجز على ما فيه من زيادة بيان(٦١) .

والآية : ﴿ تكاد تميز من الغيظ ﴾ [الملك آية ٨] التي يقول فيها أبو هلال : (واستعارة الغيظ لشدة الغليان أوجز وأبلغ في الدلالة على المعنى المراد ، لأن مقدار شدته على النفس مدرك محسوس ، ولأن الانتقام الصادر من المغيظ يقع على قدر غيظه ففيه بيانٌ عجيبٌ وزجرٌ شديدٌ لا تقوم مقامه الحقيقة البتّة)(٦٢).

وحتى في قوله " تميز " الذي هو استعارة كذلك إيجاز بليغ ، إذ إن المعنى كما قال ابن عطية (أي يزايل بعضها بعضاً لشدة الاضطراب) (٦٣)، فعبرت هذه اللفظة الواحدة عن كل تلك المعاني .وفي الآيتين صورت الاستعارة بإيجاز بديعٍ موحٍ (جهنم مخلوقة حية تكظم غيظها فترتفع أنفاسها في شهيق وتفور؛ ويملأ جوانحها الغيظ فتكاد تتمزق من الغيظ الكظيم وهي تنطوي على بغضٍ وكرهٍ ، يبلغ إلى حد الغيظ والحنق على الكافرين!) (٦٤).

وفي قول أبي تمام :

ديمة سمحة القياد سكوب *** مستغيث بها الثرى المكروب(٦٥)

صور الديمة وكأنها حيوان سلس القياد ، ثم رسم صورةً حيةً للتراب وهو جماد حين جعله في صورة من يستغيث ويستجدي ! وإذا دققت في سر ذلك وجماله لم تجد سبباً له إلا أسلوب الاستعارة المكنية ، فقد شبه الثرى برجل مكروب أحاطت به الشدة وقد اضمر الشاعر ذلك ورمز له بكلمةٍ واحدةٍ هي كلمة مستغيث ثم أسند الاستغاثة إلى الثرى ، فكأنك وأنت تراه تحس بهذه الاستغاثة .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ (الحجر آية ٩٤) ، أي فاجهر بالدعوة وبلغ وهي استعارةٌ تصريحيةٌ وحقيقة الصدع شق الأشياء الصلبة فاستعير للتبليغ (٦٦). والتعبير بالصدع أوجز و أبلغ ، لأن التبليغ قد لا يكون له تأثيرٌ بخلاف الصدع ، فلا بد له من تأثيرٍ ظاهرٍ كتأثير صدع الزجاجة ، مما يعنى بأن كلمة الصدع توحي بكل إيجاز بما سيكون من أثر هذه الدعوة الجديدة ، وأنها ستشق طريقها إلى القلوب وتحدث في النفوس أثراً قوياً .

(د) الكناية :

ففي قول العرب : فلان كثير الرماد هناك إيجاز ، أكثر من حقيقة المعنى : أي فلان كريم ، لأن قول العرب يتضمن قضيةً وبرهاناً ، فقد حكم بالكرم على الممدوح مع إقامة الدليل على كرمه بكثرة الرماد ، فجاء ذلك في غاية الإيجاز.

وقد أشار ابن سنان إلى ارتباط الكناية بغرض الإيجـاز إلـى جانـب غـرض الإيضاح ومما مثل به قول ابن ميادة :

ألم تك في يمنى يديك جعلتني * فلا تجعلني بعدها في شمالكا**

فأراد : أني كنت عندك مقدماً فلا تؤخرني ، ومقرباً فلا تبعدني ، فكنى عن ذلك بقوله : " في يمنى يديك جعلتني ، فلا تجعلني في شمالك " ، لأن هـذا المثـال عند ابن سنان أظهر إلى الحس مع ما فيه من الإيجاز(٦٧). ، وجعل منه أيضاً قول زهير:

ومن يعص أطراف الزجاج فإنه *** يطيع العوالي ركبت كل لهذم

لأنه عدل عن قوله : ومن لم يطع باللين أطاع بالعنف ، إلى الكناية عنـه بـأن قال : ومن لم يطع زجاج الرماح أطاع الأسنة ، (وكان في هذا التمثيل مع مـا فيه من الإيجاز بيان المعنى وكشفه) (٦٨).

ومن النثر مثّل لإفادة الكناية الإيجاز بما كتب به الوليد بن يزيد ــ لما بويـع ــ إلى مروان بن محمد وقد بلغه توقفه عن البيعة له: (أما بعد فـإني أراك تقـدم رجلاً وتؤخر أخرى فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت والـسلام) . وعلق ابن سنان قائلا : (فعبر عن مراده بمثال أوضحه وأوجزه) (٦٩). ومنه أيضاً ما كتب به الحجاج إلى المهلب حين حضه على قتال الأزارقة وتوعده له حيث قال: (فإن أنت فعلت ذلك وإلا شرعت إليك صدر الرمح . فأجابه المهلب وقال: فإن يشرع الأمير إلى صدر الرمح قلبت له ظهر المجن) . يقـول ابـن سنان:(وهذا كله إنما حسن لما فيه من الإيضاح والإيجاز) (٧٠).وممـن فطـن لملازمة الإيجاز للكناية التي يسميها الإشارة أو الإرداف ابن أبي الأصبع الـذي يمثل لها بأمثلة منها قول يزيد بن الوليد السابق ، وقول الحجاج للمهلـب الـذي استشهد به ابن سنان ،

ثم يقول عنها في باب الإيجاز:(فإن المجاز إيجاز والإشارة والإرداف والتمثيل

إيجاز، لكن هذه الأبواب تجيء بغير ألفاظ المعاني الموضوعة لها) (٧١).

ثانيا ارتباط الإيجاز بمسائل علم المعاني :

(أ) الحذف :

وهو الأصل في هذا الباب ، وقد جعل ابن الأثير المحذوف نوعين : ما يظهر بالإعراب وما لا يظهر بالإعراب ، وجعل مثال الأول قولنا : أهلا وسهلا ، فإن نصب الأهل والسهل يدل على ناصب محذوف ، وليس لهذا حسن ما لا يظهر بالإعراب كقولنا : فلان يحل ويعقد ، فإن ذلك لا يظهر المحذوف فيه بالإعراب ، وإنما يظهر بالنظر إلى تمام المعنى ، أي أنه يحل الأمور ويعقدها ويرى أن البلاغة تتعلق بهذا النوع دون الأول . وعنده أن الذي يظهر بالإعراب يقع في المفردات من المحذوفات كثيراً ، والذي لا يظهر بالإعراب يقع في الجمل من المحذوفات كثيرا(٧٢).ومن أمثلة إفادة الحذف الإيجاز حذف الفاعل كما في الآية : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ﴾ (النحل آية ١٢٦) فقد حذف الفاعل هنا ولم يقل : بما عاقبكم الناس به . وحذف المفعول : بقصد الإيجاز ولسبق ما يدل عليه كما في الآية ﴿ وَمَن يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاء مِن دُونِهِ ﴾ [الإسراء آية ٩٧] ، أي : من يهده ومن يضلله .ومن روائع الإيجاز المستفاد من حذف الخبر ما جاء في الحديث التالي الذي يحذر فيه الرسول ﷺ هذه الأمة من فقدان شخصيتها والتلاشي في غيرها واتباعهم في كل شيء حيث يقول : (لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبرٍ وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه . قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟) (٧٣). أي فمن غيرهم ؟ . فالإيجاز بحذف الخبر والاكتفاء بكلمةٍ واحدةٍ هي المبتدأ : " فمن ؟ " جعل الكلام أكثر وقعاً على النفس، وأشد تأثيراً وأبلغ في العبارة ، وأدل على التقريع وهذا ما لم يكن يتحقق لولا الحذف .

(ب) القصر :

مما يوضح تلازم القصر والإيجاز ما نجده مثلا في قوله تعالي : ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ (آل عمران آية ٦٢) معناه : الله إله لا يشاركه في صفة الإلوهية أحد . والآية أوجز لأنها عبرت عن المعنى الذي هو جملتان (الله إله) و (لا يشاركه في الإلوهية أحد) في جملةٍ واحدةٍ ..ولا شك أن الإيجاز أبلغ .

وقد أشار إلى ما ذكرنا ابن عاشور في مواضع من القرآن منها قوله تعالى : ﴿ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ (فاطر آية ٤٣) وقال : (وفيه جملة ذات قصر والقصر من الإيجاز لأنه قائمٌ مقام جملتين : جملة إثبات للمقصود وجملة نفيه عما سواه فالمساواة أن يقال : يحيق المكر السيئ بالماكرين دون غيرهم ، فلما عدل عن ذلك إلى صيغة القصر فقد سلك طريق الإيجاز"(٧٤).

وقوله تعالى في وصف خمر الجنة : ﴿ لا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ (الصافات آية ٤٧) أفاد عن طريق القصر بتقديم الجار والمجرور عدم وجود الغول ــ الذي يغتال العقول ــ في خمر الجنة ، وليفيد في الوقت نفسه تفضيلها على خمور الدنيا التي فيها الغول والإسكار وتدمير العقول"(٧٥). ونلاحظ أنه في جملةٍ واحدةٍ نفى وأثبت وقرر عدداً من الحقائق وشرع وهدى ، ولم تزد الجملة على ثلاث كلمات فقط .

(ج) التقديم والتأخير :

الإيجاز من أول الأغراض التي يؤديها هذا الأسلوب ، والدليل على ذلك تقديم المسند إليه على المسند كما في بيت المتنبي:

وما أنا أسقمت جسمي به * ولا أنا أضرمت في القلب نارا (٧٦)**

فقدم المبتدأ (أنا) على جملة الخبر في الموضعين (أسقمت ــ أضرمت) ليفيد معنيين : الأول نفي فعل الإسقام وإضرام النار عن نفسه ، والثاني إثباتهما لغيره كالحبيب مثلا ولو جاء الكلام على أصله وقال : ما أسقمت ... ولا أضرمت لفهمنا المعنى الأول فقط .

والتقديم فوق ذلك ينم عن معنى لطيف هو عجز الشاعر أمام عواطفه التي أضنته وكأنه يقول : لو كان لي في الأمر يد لأنقذت نفسي مما أعانيه ولكن لا طاقة لي بذلك . وتلاحظ أنه لو لم يقدم ويؤخر لاحتاج إلى أضعاف هذه الكلمات التي استعملها في البيت ؛ لتوفي هذا المعنى حقه ولتعبر عما يعانيه.

وفي كلام الشيخ عبد القاهر إشارةٌ إلى خاصية الإيجاز في أسلوب التقديم والتأخير نجدها عند كلامه عن سر النظم في قوله سبحانه : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ ﴾ (الأنعام آية ١٠٠) ؛ حيث قدم المفعول الثاني ــ وهو شركاء ــ ولم يقل : وجعلوا لله الجن شركاء. يقول الشيخ : (فانظر الآن إلى شرف ما حصل من المعنى بأن قدم الشركاء واعتبره ، فإنه ينبهك لكثير من الأمور ، ويدلك على عظم شأن النظم وتعلم به كيف يكون الإيجاز به ؟ وما صورته ؟ وكيف يزاد في المعنى من غير أن يزاد في اللفظ ؟ إذ قد ترى أن ليس إلا تقديم وتأخير ، وأنه قد حصل لك بذلك من زيادة المعنى ما إن حاولت مع تركه لم يحصل لك ، واحتجت إلى أن تستأنف له كلاماً نحو أن تقول : وجعلوا الجن شركاء لله ، وما ينبغي أن يكون لله شريك من الجن ولا من غيرهم) (٧٧).

(د) التنكير :

لا يخلو أسلوب التنكير كذلك من إفادة الإيجاز ففي قوله تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ﴾ (البقرة آية ٩٦) . أضفى تنكير كلمة " حياة " حسناً وروعةً على المعنى عن طريق الإيجاز لا تجدهما إذا قيل في الآية " الحياة " بالتعريف باعتبار أن المقصود هو الازدياد من جنس الحياة ، لا الحياة من أصلها كما يقول عبد القاهر لأن (ذلك لا يحرص عليه إلا الحي. فأما العادم للحياة فلا يصح منه الحرص على الحياة ولا على غيرها . وإذا كان

كذلك صار كأنه قيل : ولتجدنهم أحرص الناس ولو عاشوا ما عاشوا على أن يزدادوا إلى حياتهم في ماضي الوقت وراهنه حياة في الذي يستقبل)(٧٨). فهاهنا لا يصح أن نقول " أن يزدادوا إلى حياتهم الحياة " بالتعريف وإنما نقول " حياة " باعتبار أن التعريف يصلح حيث تراد الحياة على الإطلاق . فأفادت كلمة واحدة بالتنكير كل تلك المعاني ونفت عن الأذهان غيرها ، مع دقة التعبير .

وشبيه بتنكير الحياة في هذه الآية وإفادتها الإيجاز تنكيرها كذلك مع التقديم والتأخير في قوله عز وجل : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ (البقرة آية ١٧٩) . فالمعنى (أنه لما كان الإنسان إذا علم أنه إذا قَتل قُتل ارتدع بذلك عن القتل فسلم صاحبه صارت حياة هذا المهموم بقتله في مستأنف الوقت مستفادة بالقصاص وصار كأنه قد حيي في باقي عمره به أي بالقصاص) (٧٩). فانظر إلى هذه المعاني الكثيرة التي عبرت عنها الآية بألفاظٍ قليلةٍ اعتماداً على تنكير كلمة حياة وتأخيرها.

(هـ) الأساليب الإنشائية :

تفيد الأساليب الإنشائية الإيجاز وتعين عليه ، وممن التفت إلى ذلك ابن حجة الحموي الذي يشير في عبارته التالية إلى ارتباط الاستفهام والشرط وغيرهما بالإيجاز حيث يقول : (الإيجاز اعتنت به فصحاء العرب وبلغاؤها كثيراً فإنهم كانوا إذا قصدوا الإيجاز أتوا بألفاظٍ استغنوا بواحدها عن ألفاظ كثيرة كأدوات الاستفهام والشروط وغير ذلك . فقولك : أين زيدٌ ؟ مغنٍ عن قولك أزيدٌ في الدار أم في المسجد إلى أن تستقر جميع الأماكن . وقولك : من يقم أقم معه مغنٍ عن : إن يقم زيد أو عمرو أقم معه . وما بالدار من أحدٍ ، مغن عن قولك : ليس فيها زيدٌ ولا عمرو . فغالب كلام العرب مبني على الإيجاز والاختصار وأداء المقصود من الكلام بأقل عبارة) (٨٠).

ويمكن قياساً على هذا إدراج الأساليب الإنشائية حينما تستعمل في معانيها الحقيقية كالأمر في قولنا : قم ، والنهي : لا تذهب ، فكلا القولين يتضمن أداء المقصود بأقل عبارة ، فقم تغني عن قولنا : أنا آمرك بالقيام . و لا تذهب تغني عن قولنا أنا أنهاك عن الذهاب ، وهكذا الشأن في بقية أساليب الإنشاء .

والإيجاز واضح كذلك في الصيغ الإنشائية حين تخرج من معانيها الحقيقية إلى معانٍ تفهم من السياق ، فمثلاً الأمر في الآية : ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (فصلت آية ٤٠) فالمراد من قوله : " اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ " التهديد وأصل الكلام والله أعلم : اعملوا ما شئتم فسترون ما يترتب على ذلك. فأفهمت صيغة الأمر معنى التهديد بكل إيجاز .

وفي الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (التحريم آية ٧) ، أفادت صيغة النهي " لا تعتذروا " التيئيس بكل إيجاز ، إذ أن المعنى والله أعلم : لا تعتذروا اليوم فلا فائدة من اعتذاركم.

وأما الاستفهام في الآية ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ (الأعراف آية ٥٣) ، فعبر عن معنى التمني بكل إيجاز إذ أن المعنى المراد نتمنى أن يكون لنا شفعاء . وأما في قول طرفة :

يا لك من قبرةٍ بمعمر *** خلا لك الجو فبيضي واصفري (٨١)

فقد أفاد النداء " يا لك " ، معنى التعجب بطريقة موجزة ، وقس على ذلك .

(و) المجاز العقلي :

فالأمثلة التي أسند فيها الفعل إلى سببه أو إلى زمانه أو مكانه نحو : " بنى الأمير المدينة "، و " نهار صائم " ، و " طريق سائر " نلاحظ فيها الإيجاز وتقليل الألفاظ إذ المراد : بنى العمال المدينة بأمر الأمير، وصام الناس في النهار، وسار الناس في الطريق .

وقد أشار الطبري إلى مزية الإيجاز في هذا اللون من التعبير حينما وقف عند

الآية : ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ ﴾ (البقرة آية ١٦) بإسناد الربح للتجارة وهـي ليست الفاعل الحقيقي للفعل ربحت ، وجعل ذلك لأن العرب اعتادت على مثلـه فأوجز القرآن اكتفاءً بفهم المخاطبين بمعنى ذلك (٨٢).

ومما جاء منه في القرآن أيضا قوله تعالى : ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّـينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحاً ﴾ (القصص آية ٣٨) فهو أوجز من أصل الكلام لو جرى على غير المجاز بإسناد الفعل لفاعله الحقيقي فقيل : آمر عمالـك يـا هامـان ليوقدوا لي على الطين . وقول موسى عليه السلام عن أخيه هارون : ﴿ فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ (القصص آية ٣٤) فموسى يريد من قومه أن يصدقوه ، ويكون أخوه سببا في هذا التصديق فأسـنده إليـه لأنـه الـسبب فيـه إسـنادٌ مجازيٌ(٨٣) وقول موسى كما جاء في الآية أوجز من لو أنه قيل : فأرسله معي ردءاً يبسط بلسانه الحق ويجادل به ليكون ذلك تصديقا لما أدعو إليه.

وفي الآية : ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْـدَةِ الَّـذِي حَرَّمَهَـا ﴾ (النمـل آية ٩١) . جاء الكلام على الإسناد المجازى بإسناد التحريم للـضمير العائـد على البلدة وهو في غاية الإيجاز والأصل كما يقول الإمام عز الدين : (حـرم محرماتها كعضد شجرها واختلاء خلاها وتنفير صـيدها والتقـاط لقطتهـا إلا لمنشد) (٨٤).

ثالثا ارتباط الإيجاز بفنون البديع :

لا نعدم خاصية الإيجاز حتى في ألوان البديع التي يراد بها تزيين الكلام كمـا هو عند كثيرٍ من البلاغيين ، وللتمثيل لذلك فلننظر للتعليق الذي ساقه الـدكتور بكري شيخ أمين حينما وقف على قول الشاعر عمر أبي ريشة ووطنه السوري تحت نير الانتداب في حفل تكريم المجاهد الراحل إبراهيم هنانو:

وطن عليه من الزمان وقار *** النور ملء شعابه والنار

فيشير إلى ما يذكره البلاغيون من وجود الطباق بين النور والنار ، ثم يقول : (

إن قوله وهو يصف الوطن " النور ملء شعابه والنار" ليس لوناً بديعياً ، أو زخرفاً معنوياً كما زعم المؤلفون ــ رحمهم الله ــ في علم البديع ، لكنه صورةٌ فنيةٌ ضمت في أطرافها جميع ما تشتمل عليه صورة الوطن في عين الشاعر من ماضٍ يعبق بالمجد ، وحاضرٍ يفوح بالشذا والأريج . فرأى الماضي متلألئاً مشرقاً بالأنوار ، ذلك الماضي الذي يذكرنا ببني أمية وجحافل المجد والفتح التي انطلقت في أيامهم إلى شرق الدنيا وغربها ... كما يذكرنا ببلاد الشام التي تجمعت تحت لواء صلاح الدين ... فطهرت الأرض من الصليبيين ... ذلك هو مما يجتمع تحت كلمة النور .

وأما النار فهي ما يراه من تأجج ثوراتٍ هنا وهناك ... ضد الفرنسيين ... إن الشاعر يرى في المجاهد الشهيد ... وفي إخوته الثوار المجاهدين النار التي سوف تحرق كل معتدٍ أثيمٍ دنس هذا الوطن ، واستباح حرماته . وذلك ما عناه أبو ريشة بالنار . أرأيت إلى بعض ما حملته عبارةٌ واحدةٌ من معانٍ ، وما رسمته من صورٍ وما أوحت به من ذكريات ؟ أو يكفي أن نقول : إن في هذا الشطر طباقاً بين النور والنار ثم نلوي وجوهنا ؟) (٨٥). ثم يقول بعد إيراد عددٍ من الشواهد على القيمة المعنوية للطباق والمقابلة : (إنما الطباق أساسٌ من عمارة هذا الكون في ظاهره وباطنه ، وهو أكبر مما وصفه المؤلفون ؛ لأن الحياة بكل عناصرها هي جزء من هذا اللون ، أو هذا اللون جزء من الحياة ذاتها . وهل نستطيع أن نفهم الوجود بل ما فيه لولا هذه المتقابلات ؟ الغنى والفقر ، الحياة والموت ...) (٨٦).ونجد الإيجاز في أسلوب الاستخدام الذي من أول صوره استخدام اللفظ في معنى ثم استخدام ضميره في معناه الآخر كما في بيت جرير :

إذا سقط السماء بأرض قومٍ * رعيناه وإن كانوا غضابا(٨٧)**

إذ استخدم الشاعر لفظة السماء بمعنى المطر ، ثم أعاد الضمير إليه بمعنى

النبات فهنا تكمن بلاغة الأسلوب فيما يحققه من الإيجاز ، لأن قوله " رعيناه " أخصر من قولنا : " رعينا النبات الناشئ عنه " والإيجاز هو البلاغة كما مر بنا .وانظر إلى إفادة اللف والنشر لغرض الإيجاز كما في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى ﴾ (البقرة آية ١١١) ، فالضمير في " قالوا " يرجع إلى أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، والمعنى : وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودا ، وقالت النصارى : لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى ، فلف القولين وجمعهما في واو الجماعة من (قالوا) على جهة الإجمال ثم ذكر النشر : (هودا أو نصارى) .ولا نعدم الإيجاز كذلك في أسلوب الجمع ، ففي قول محمد بن وهيب مادحا الخليفة المعتصم :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتهم *** شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر(٨٨)

جمع الشاعر (شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر) في صفةٍ واحدةٍ (تشرق الدنيا ببهجتهم) ، ولولا لجوء الشاعر لهذا الأسلوب لاحتاج لتكرار هذه الصفة مع كل واحد من تلك الأسماء ، وفي ذلك ما يذهب بجمال الكلام الذي نراه هنا .وفي أسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم يقال بأنه بمثابة الدعوى التي أقيم عليها الدليل ولكن ذلك يأتي في غاية الإيجاز ، ففي قول النابغة الجعدي :

فتى كملت أخلاقه غير أنه *** جوادٌ فما يبقي من المال باقيا

يستدل الشاعر على كمال أخلاق الممدوح بكونه جواداً ، وكون الجود ينقص من كمال الأخلاق محال ، فيثبت بهذا أنه متصف بكمال الأخلاق بعبارة هي في غاية الإيجاز لأنها تقوم مقام جملتين .

وأسلوب بديعي آخر يحقق قصد الإيجاز ، وهو الإدماج الذي يبنى على تضمين كلام سيق لمعنى آخر ، ومنه كتاب عمر بن مسعدة إلى الخليفة المأمون فمما نقله ابن سنان من استحسان المأمون الإيجاز فيه أنه حينما وصله الكتاب يصف حالة الجند بقوله : (كتابي إلى أمير المؤمنين ، ومن قبلي من قواده وسائر

أجناده في الانقياد والطاعة على أحسن ما يكون طاعة جند تأخرت أرزاقهم، وانقياد كفاة تراخت أعطياتهم فاختلت لذلك أحوالهم ، والتأثت معه أمورهم) (٨٩) قال المأمون : (قرأت فيه كلاماً وجدته نظير ما سمعت الرشيد يقوله في البلاغة، فإني سمعته يقول : البلاغة التباعد عن الإطالة والتقرب من معنى البغية ، والدلالة بالقليل من اللفظ على المعنى ، وما كنت أتوهم أن أحداً يقدر على المبالغة في هذا المعنى حتى قرأت هذا الكتاب) (٩٠)، ويروى أن الخليفة أخذ يردد النظر في الكتاب قائلا لأحمد بن يوسف الكاتب : (ألا ترى يا أحمد إدماجه المسألة في الإخبار ، وإعفاءه سلطانه من الإكثار)(٩١)، يريد أنه أدمج طلبه أرزاق الجند ورواتبهم في إخباره عن طاعتهم وانقيادهم للخليفة ، وأوضح أن في تأخر تلك الأرزاق اختلالاً لأحوال الجند ، وبهذا الإدماج تحقق الإيجاز الذي استحسنه .وحسن التعليل أيضا نلمح فيه الإيجاز ، فمثلا في قول المتنبي :

ما به قتل أعاديه ولكن * يتقي إخلاف ما ترجو الذئاب(٩٢)**

فهو يعلل لقتل الممدوح لأعدائه بالرغبة في إطعام الذئاب التي تنتظر أن تطعم من جثث قتلاه ، والممدوح لا يريد أن يخيب ما ترجوه ، و ينكر الشاعر بذلك ضمنيا العلة الحقيقية المعروفة لقتل الأعداء دون أن يذكرها وهي دفع أذاهم ، ويلتمس هذه العلة الخيالية ليعبر بها عن شجاعة ممدوحه ، وفوق ذلك وفائه بما يرجوه منه حتى الحيوان . وعبر الشاعر عن كل ذلك بإيجاز تمثل في إحلال العلة الخيالية مكان العلة الحقيقية مما يفهم ضمنا كل تلك المعاني .وهذا قليل من كثير في هذا الباب ، مما يدل على ما قلنا من أن الإيجاز مقصد أصيل من مقاصد البلاغة العربية ، لوجوده حتى في فنونها التي تجيء لتزيين الكلام ويمكن الاستغناء عنها .

خاتمة :

الإيجاز سمةٌ أصيلةٌ في اللغة العربية ، وكانت غلبة الأمية في الجاهلية ، وشيوع عدم التدوين أهم دواعيه ، وكان الداعي له في صدر الإسلام اتساع الدولة الإسلامية والحاجة إلى سرعة البت في الأمور ، مع مشقة الحصول على الورق فاقتصر الأمر على تدوين القرآن والمكاتبات الرسمية ، بينما تأخر تدوين الحديث وبقية العلوم ولهذا كان مشاهير الكتاب يتوخون الإيجاز ، ويوصون به .في كتب القدماء كثير من العبارات التي تشير إلى الإيجاز وتنوه به ، وتثني على من رزقه ، ولذا كان موضوع الإيجاز من أسبق موضوعات علم المعاني، التي وقف عندها الكتاب القدامى كالجاحظ وابن قتيبة ، وتوسع من جاء بعدهم في الحديث عنه والتمثيل لنوعيه (إيجاز الحذف وإيجاز القصر).

نُقلت أقوال كثيرة تدل على استحسان العرب للإيجاز ، واعتباره أحد أعمدة البلاغة ومن أهم ما يشار إليه في بلاغة القرآن وإعجازه . وكان من أسباب استحسانهم لهم : تناسبه مع طبيعة الذهن العربي الذي تكفيه الإشارة ، وميل العرب للتخفيف وهربهم من التثقيل وإيثارهم السهولة في التعبير ، مع ما في الإيجاز من زيادة في دلالة الكلام من طريق الإيحاء .

ولا يحسن الإيجاز عندهم إلا إذا توافرت له شروطٌ أهمها : تحقق الوضوح في المعنى وأن تكون الألفاظ على قلتها موحيةً بمعانٍ كثيرةٍ ، وأن يصادف الإيجاز موقعه بمراعاة الكلام لمقتضى الحال ، فلا يستعمل في موطنٍ يستوجب الإطناب .الدليل الأكبر على أهمية الإيجاز في البلاغة العربية هو ارتباطه بمعظم مسائلها التي كثيراً ما تكون وسيلةً لتحقيق غرض الإيجاز في الكلام ، وقد وضح ذلك جلياً من خلال عرضنا لأمثلةٍ من أهم أبواب البيان (التشبيه ـ الاستعارة ـ المجاز المرسل ـ الكناية) التي أفادت الإيجاز ، وقصدت إليه باعتباره غرضا أساسيا من أغراضها البلاغية .كما دلت الأمثلة التي وقفنا

عندها ــ من باب علم المعاني كالحذف والقصر والتقديم والتأخير والتنكير والتعريف والأساليب الإنشائية والمجاز العقلي ــ دلت بوضوح على ملازمتها لغرض الإيجاز وأعانت عليه .وخاصية الإيجاز وجدناها حتى في ألوان البديع (مثل الطباق والمقابلة ــ الاستخدام ــ اللف والنشر ــ تأكيد المدح بما يشبه الذم ــ الجمع ــ حسن التعليل ــ الإدماج) التي لا يرى فيها كثير من البلاغيين إلا تزيين الكلام ، ووجود الإيجاز فيها دليل قاطع على قولنا بأن الإيجاز مقصد أصيل من مقاصد البلاغة العربية وأنه غاية والأساليب البلاغية المختلفة هي الوسيلة إلى تلك الغاية .

المصادر والمراجع

١ . القرآن الكريم .

٢ . أدب الكاتب لابن قتيبة ، ت : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية ، مصر ، ط ٤ ، ١٩٦٣ .

٣ . إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٤ . أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ، ت : د . محمد عبد المنعم خفاجي و د . عبد العزيز شرف ، دار الجيل بيروت ، ط ١ ، ١٩٩١ م .

٥ . الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز للعز بن عبد السلام ، دار الحديث القاهرة .

٦ . الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٤ ٢٠٠٢

٧ . أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط ٥، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .

٨ . الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ، دار الجيل ، بيروت ، دون تاريخ .

٩. البلاغة العربية في ثوبها الجديد ، د . بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٧م .

١٠. البلاغة فنونها وأفنانها ــ علم المعاني ، د . فضل حسن عباس ، ط ٥ ١٩٩٨ م ، دار الفرقان ، الأردن .
١٠. البيان والتبيين للجاحظ ، ت : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي القاهرة ط ٧ ، ١٩٩٦
١١. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر لابن أبي الأصبع ، ت : د . حفني محمد شرف ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، مصر.١٩٦٣ .
١٢. التحرير والتنوير لابن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤ م .
١٣. تفسير الثعالبي ، ت : علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٧ م .
١٤. الحيوان للجاحظ ، ت عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٦
١٥. خزانة الأدب للبغدادي ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩١ .
١٦. الخصائص لابن جني ، ت : محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ١٩٥٢ م
١٧. دفاع عن البلاغة ، أحمد حسن الزيات ، مطبعة الرسالة ، ١٩٤٥.
١٨. دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، ت : محمد رشيد رضا ، دار المعرفة بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٤ .
١٩. ديوان البحتري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠٤ .
٢٠. ديوان طرفة ، دار صادر بيروت ١٩٦٠ .
٢١. سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ، ت : د . النبوي شعلان ، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م .
٢٢. شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ٢٠٠٥
٢٣. شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، تعليق غريد الشيخ ، دار الكتب العلمية بيروت ط ١ ، ٢٠٠٣ م .
٢٤. شرح ديوان المتنبي للعكبري ، ت : مصطفى السقا وآخرون ، دار المعرفة بيروت
٢٥. صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي ، ت : د.يوسف علي طويل دار الفكر – دمشق ط ١ ، ١٩٨٧ .
٢٦. صحيح البخاري ، ط بولاق ، ١٣١٢ هـ .
٢٧. صحيح مسلم ، ت : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،

بدون تاريخ .

٢٨. الصناعتين لأبي هلال العسكري ، ت : علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية بيروت ، ١٩٨٦

٢٩. العقد الفريد لابن عبد ربه،ت:محمد عبد القادر شاهين،المكتبة العصرية بيروت ٢٠٠٣

٣٠. علم المعاني ، د . بسيوني عبد الفتاح ، مؤسسة المختار ، ط ١ ، ١٩٩٨ القاهرة .

٣١. العمدة في محاسن الشعر لابن رشيق القيرواني ، ت : د . عبد الحميد هنداوي المكتبة العصرية بيروت ، ط ١ ٢٠٠١.

٣٢. في ظلال القرآن لسيد قطب ، دار الشروق ، ط ٣٥ ، ٢٠٠٥ .

٣٣. الكتاب لسيبويه ، ت : عبد السلام هارون، عالم الكتب ، بيروت ١٩٦٦ م

٣٤. الكشاف للومخشري ، ت : عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض مكتبة العبيكان ، ط ١، ١٩٩٨ م .

٣٥. لسان العرب لابن منظور ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٣ ١٩٩٩ م

٣٦. المثل السائر لابن الأثير ، ت : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية بيروت ١٩٩٥

٣٧. مجلة التراث العربي ، اتحاد الكتاب العرب، دمشق العدد ٦١ ، أكتوبر ١٩٩٥ – جمادى الأولى١٤١٦ هـ .

٣٨. المحرر الوجيز لابن عطية ، ت : عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١ م.

٣٩. نقد الشعر لقدامة بن جعفر ، ت : كمال مصطفى ، ط ٣ ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ١٩٧٩ م .

٤٠. النكت في إعجاز القرآن ، (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ، ت : محمد خلف الله و د . محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، ط ٢ ، ١٩٦٨ .

٤١. الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني ، ت : محمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية ـــ بيروت ١٩٦٦ م.

الهوامش :

(١) دفاع عن البلاغة ص ٨٩ ، أحمد حسن الزيات ، مطبعة الرسالة ، ١٩٤٥.

(٢) مجلة التراث العربي ، اتحاد الكتاب العرب، دمشق العدد ٦١ ، أكتوبر" ١٩٩٥ - جمادى الأولى١٤١٦ .

(٣) الاندفاع فيه .

(٤) العمدة في محاسن الشعر لابن رشيق القيرواني ، ج ١ ص ٢١٢ ، ت : د . عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠١.

(٥) الصناعتين لأبي هلال العسكري ص ١٧٣ ، ت : علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية بيروت ، ١٩٨٦

(٦) المصدر نفسه ص ١٩١ .

(٧) لسان العرب لابن منظور ، ج ١٥ ص ٢٢١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٩٩ م .

(٨) البيان والتبيين للجاحظ ، ج ١ ص ٩٦ . ت : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي القاهرة ، ط ٧ ، ١٩٩٦ والحيوان ج ١ ص ٩٠ ــ ٩١ .

(٩) المصدر نفسه ج ١ ص ٩٧ .

(١٠) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ، ص ٣١٦ ــ ٣١٧ . ت : د . النبوي شعلان ، دار قباء للطباعة والنشر القاهرة ، ٢٠٠٣ م .

(١١) المثل السائر لابن الأثير ، ج ٢ ص ٧٠ . ت : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية بيروت ١٩٩٥ م.

(١٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر لابن أبي الأصبع ، ص ٤٦٧ ، ت : د . حفني محمد شرف ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، مصر.١٩٦٣ .

(١٣) انظر مثلا : علم المعاني ، د . بسيوني عبد الفتاح ، ج ٢ ص ١٨٤ وما بعدها ، ط ١ ١٩٩٨ ، مؤسسة المختار، القاهرة .

(١٤) انظر تفصيل ذلك في (البلاغة فنونها وأفنانها ــ علم المعاني) ، د . فضل حسن عباس ، ص ٤٥٩ وما بعدها ط ٥ ١٩٩٨ م ، دار الفرقان ، الأردن .

(١٥) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، ص ١٠٦ ، ت : محمد رشيد رضا ، دار المعرفة بيروت ، ط ١ ١٩٩٤ .

(١٦)) المصدر نفسه ص ١٢٢ .
(١٧) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ص ١٠٧ ، دار الجيل ، بيروت ، دون تاريخ .
(١٨) المراد الجملة التامة التي لا تكون جزءا من كلام آخر وإلا دخل الشرط وجوابه السابقين ونحوهما .
(١٩) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ، ج١ ص ١٠٦. دار إحياء التراث العربي ، بيروت
(٢٠) شرح ديوان المتنبي للعكبري ،ج ٤ ص ١٦٣ ، ت : مصطفى السقا وآخرون ، دار المعرفة ، بيروت .
(٢١) انظر مثلا الإيضاح في علوم البلاغة ، ص ١٠٥ .
(٢٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي ، ج ٢ ص ٣٥٩ ، ت : د.يوسف علي طويل ، دار الفكر – دمشق ط ١ ، ١٩٨٧ .
(٢٣) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري ، ج ٢ ص ١٨٢ ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط ٥ ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .
(٢٤) صحيح مسلم ج ١ ص ٦٥ ، ت : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، بدون تاريخ.
(٢٥) الصناعتين ص ١٧٤ .
(٢٦) العقد الفريد لابن عبد ربه ، ج ٤ ص ٢٠٧ ــ ٢٠٨ . ت : محمد عبد القادر شاهين ، المكتبة العصرية ، بيروت ٢٠٠٣ .
(٢٧) الصناعتين ص ١٧٣ .
(٢٨) العمدة ج ١ ص ٢١٢ .
(٢٩) دلائل الإعجاز ص ٢٣٢ ــ ٢٣٣ .
(٣٠) سر الفصاحة ص ٣٠٧ .
(٣١) الحيوان للجاحظ ، ج ١ ص ٩٤ ، ت عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٦ .
(٣٢) العقد الفريد ج ٤ ص ٢٠٨ .
(٣٣) الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني ، ص ٤٥٤ ، ت : محمد أبو

الفضل إبراهيم و علي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية ـ بيروت ١٩٦٦ م .
(٣٤) الخصائص لابن جني ، ج ١ص ٨٦ ، ت : محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ١٩٥٢ م .
(٣٥) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، ج ٤ ص ١٣٢٠ ، تعليق غريد الشيخ ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ١ ٢٠٠٣ م .
(٣٦) دفاع عن البلاغة ص ٩٩ .
(٣٧) سر الفصاحة ٣٢٠ ـ ٣٢١ .
(٣٨) الحيوان ج ١ ص ٩١ .
(٣٩) سر الفصاحة ص ٣٠٩ .
(٤٠) المصدر نفسه ص ٣١٥ .
(٤١) الحيوان ج ١ ص ٩١ .
(٤٢) دلائل الإعجاز ص ٢٩٦ .
(٤٣) نقد الشعر لقدامة بن جعفر ، ص ١٥٢ ـ ١٥٣، ، تحقيق : كمال مصطفى ، ط ٣ ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٧٩ م .
(٤٤) أدب الكاتب لابن قتيبة ، ص ١٥ ، ت : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية ، مصر ، ط ٤ ١٩٦٣ .
(٤٥) الصناعتين ص ١٩٣ .
(٤٦) البيان والتبيين ج ١ ص ١٥٥ .
(٤٧) ديوان البحتري ، ج ٢ ص ٦٦٨ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠٤ .
(٤٨) المثل السائر ج ١ ص ٣٧٨ .
(٤٩) وهو ما يعرف عند المتأخرين باسم التشبيه البليغ وهو ما حذفت منه الأداة ووجه الشبه كقولنا : الفارس أسد .
(٥٠) سر الفصاحة ص ٣٢٦ .
(٥١) تحرير التحبير ص ٥٨٢ .
(٥٢) تفسير الثعالبي ، ج ٢ ص ٩٦ ، ت : علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٧ م .
(٥٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ، ج ٢٥ ص ٢٦ ـ ٢٧ ، الدار التونسية للنشر ،

١٩٨٤ م .
(٥٤) الكتاب لسيبويه ، ج ١ ص ٢١٢ ـ ٢١٣ ، ت : عبد السلام هارون، عالم الكتب ، بيروت ١٩٦٦ م .
(٥٥) تحرير التحبير ص ٤٦٢ .
(٥٦) الكشاف للومخشري ، ج ٢ ص ٢٠١ ، ت : عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض ، مكتبة العبيكان ط ١، ١٩٩٨ م .
(٥٧) المستن : موضع جري السحاب .
(٥٨) الكامل في اللغة والأدب للمبرد ، ج٢ ص ٧٨. ، مكتبة المعارف، بيروت، بدون تاريخ.
(٥٩) إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ، ج ٢ ص ١٤٠.
(٦٠) أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ، ص ٥٥ ، ت : د . محمد عبد المنعم خفاجي و د . عبد العزيز شرف دار الجيل بيروت ، ط ١ ، ١٩٩١ م .
(٦١) الصناعتين ص ٢٧١ .
(٦٢) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(٦٣) المحرر الوجيز لابن عطية ، ج ٥ ص ٣٣٩ ، ت : عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١ م.
(٦٤) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج٦ ص ٣٦٣٤، دار الشروق ، ط ٣٥ ، ٢٠٠٥ .
(٦٥) شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي ، ج ١ ص ١٥٧ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠٥ .
(٦٦) النكت في إعجاز القرآن ، (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ص ٨٧، ت : محمد خلف الله ود . محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، ط ٢ ، ١٩٦٨ .
(٦٧) سر الفصاحة ص ٣٤٦
(٦٨المصدر نفسه ص ٣٤٧
(٦٩) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(٧٠) المصدر نفسه ص ٣٤٨ .
(٧١) المصدر نفسه ص ٤٦٢ .
(٧٢) المثل السائر ج ٢ ص ٧٧ .

(٧٣) صحيح البخاري ، ج ٤ ص ١٦٩ ، ط بولاق ، ١٣١٢ هـ .

(٧٤) التحرير والتنوير ج ٢٢ ص ٣٣٦ .

(٧٥) المثل السائر ج ٢ ص ٤٠

(٧٦) شرح ديوان المتنبي للعكبري ،ج ٢ ص ٩٥ .

(٧٧) دلائل الإعجاز ، ص ١٩٣ .

(٧٨) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٧٩) المصدر نفسه ، ص ١٩٤ .

(٨٠) خزانة الأدب للبغدادي ، ج ٢ ص ٢٧٤ ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩١ .

(٨١) ديوان طرفة ص ٤٦ ، دار صادر بيروت ١٩٦٠ .

(٨٢) جامع البيان ج ١ ص ١٣٩ .

(٨٣) الكشاف ج ٤ ص ٥٠١ .

(٨٤) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز للعز بن عبد السلام ، ص ٦٣ ، دار الحديث ، القاهرة .

(٨٥) البلاغة العربية في ثوبها الجديد ، ج٣ ص ٥٦ ــ ٥٧ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٧م .

(٨٦) المصدر نفسه ،.ج ٣ ص ٦٣ .

(٨٧) البيت لمعود الحكماء معاوية بن مالك في لسان العرب (مادة سما) ج ٦ ص ٣٧٩.

(٨٨) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، ج ١٩ ، ص ٨١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٤ ، ٢٠٠٢ .

(٨٩) سر الفصاحة ص ٣١٧ .

(٩٠) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

(٩١) العمدة ، ج ٢ ص ٥٣ .

(٩٢) شرح ديوان المتنبي للعكبري ، ج ١ ص ١٣٤ .